

اللغة والتكنولوجيا

(رؤية في طرق الاتصال قديمها وحاضرهما
وآثارها في التحول الاجتماعي)

محمد كشاش (*)

توطئة

التكنولوجيا مصطلح يחדش الأسماع ويمخر العقول والقلوب كلّ يوم مرات ومرات. ما إن يستمع المرء إلى المذيع حتى يواجه به، وإن تحوّل إلى الإذاعة المرئية، فيسمع ويرى عن التقدم التكنولوجي ما يذهل اللّباب. وربما فارق الإثنين، المرئي والمسموع، فراراً إلى المقروء؛ فيرى ويسمع ويلمس من التكنولوجيا وآثارها ما يؤكّد للإنسان أن حياته كل يوم في جديد، وهو منه قريب بعيد. قريب لا يمكن الفرار منه أو نكران ما يُعطيه، وبعيد لأن إسهامه ضئيل لا يرقى إلى درجة يجاريه فيه.

والحديث عن اللّغة مقترنة بالتكنولوجيا حديث قديم متجدّد. قديم باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، بزغ نورها يوم وُجد الشعور الاجتماعي عند الإنسان⁽¹⁾، وحاجته إلى التواصل مع غيره من بني جنسه. وجديد بالنظر إلى مستجدات العِلْم وما يفرز من تكنولوجيا في حقول المعرفة المختلفة، وما تؤدّيه من ثراء يبرز بشكل آلات وأدوات وأجهزة، يحدّ اللسان منها ولا يحصيها.

وفي ضوء القطبين المتواجهين، اللّغة وهي الرمز الثابت في المعادلة، والتكنولوجيا وهي تمثل الرقم المتغيّر المتجدّد فيها، تبرز الإشكالية في حياتنا اللغوية، وهي أن اللغة

(*) أستاذ في الجامعة اللبنانية، كلية الآداب - قسم اللغة العربية.

(1) دعت الضرورة الاجتماعية الناتجة عن تلاقي الناس وحاجتهم إلى وسيط ينقلون عبره أفكارهم؛ لأنه من غير المعقول أن يكون هناك مجتمع من دون وجود لغة. قال ماريو باي Mario Pei: «إننا نعرف جيداً أنه لا يوجد على سطح الأرض أي جماعة إنسانية - مهما قلّ حظها من الحضارة والمدنية - بدون لغة تتفاهم وتتبادل الأفكار بها». ينظر، ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس - ليبيا، كلية التربية، 1973م، ص 39 - 38.

يجب أن تحافظ على أصولها وبنيتها؛ لكي تبقى وسيلة تعبير اليوم، وأداة تواصل مع التراث من جهة، وينبغي مجاراتها للتطور التكنولوجي الذي يكتب لها الحيوية والمرونة المتمثلين باستيعابها لكل جديد مخترع، وكل حديث مبتدع، مادة وأساليب تعبير وطرق بيان من جهة أخرى. وبهذا اقترنت «اللغة والتكنولوجيا»، وهما باقترانهما توأمان متّحدان، لا توأمان متميزان مفترقان. ولما كانا كذلك، يُثار تساؤل مفاده: هل يؤثر الحدث التكنولوجي على طريقة التعبير وأسلوب الكلام؟؟ وما النتائج التي يؤديها على صعيد العلاقات الاجتماعية؟؟ كيف وأين؟؟

طرق التعبير وأساليب التواصل

طرق التعبير هي سبيل التواصل والارتباط بين عناصر المجتمع. ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن اللغة لا يبرز جانبها الاجتماعي⁽²⁾ إلا من خلال التعبير، أو ما يسمى بمجاري الاتصال⁽³⁾. وعلة ذلك أن المعاني قائمة في النفس، متخلّجة في الصدر، متصورة في الذهن، لا يعرف الإنسان ما في ضمير صاحبه إلا عندما يفصح عنه بإحدى القنوات التي تسمى طرق التعبير. وهذه القنوات تنقسم - ما بين لفظ وغير لفظ - إلى خمسة أقسام، هي اللفظ⁽⁴⁾ والخط⁽⁵⁾ والإشارة⁽⁶⁾ ولسان الحال⁽⁷⁾ والعقد⁽⁸⁾.

خضعت طريقة التعبير إلى تقنيات وأدوات فرزتها التكنولوجيا في كل عصر. ففي العصور العربية الأولى تصدر الكلام مقام التعبير الأول، وكاد يكون أبرزها. فآلة الكلام اللسان، وسير العمل يتكىء على صحة الطبع، وجودة القريحة وحسن الأداء. وهذا ما

- (2) حدّ اللغة «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». وفي هذا تظهر الغاية الاجتماعية من اللغة. يراجع، ابن جني: الخصائص، حققه محمد علي التجار، ج 1، ط 2، دار الهدى، بيروت، لا. تا، ص 33.
- (3) ويسمى الجاحظ ذلك «البيان» وهو عنده «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان...». ينظر، الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مج 1، ج 1، ط 4، دار الفكر، بيروت، لا. تا، ص 76.
- (4) هو التعبير عن المعنى بواسطة الكلام (اللسان)، والصوت مادة اللفظ «ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف». ينظر، الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 79.
- (5) هو التعبير عن المعاني بواسطة الحروف. والفرق بين الخط واللفظ هو أن اللفظ يعتمد على «الصوت» المدرك بحاسة السمع، على حين أن الخط يعتمد على الخبر أو ما قام مقامه. قال الجاحظ: «وليس بين الرقوم والخطوط فرق ولا بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت المقطّع في الهواء، ومن الحروف المصورة في السواد في القرطاس من فرق». يراجع، الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مج 1، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، 1965، ص 70.
- (6) هي الدلالة على المعنى باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمثكّب...
- (7) ويسمى الجاحظ «تصنية»، وهي الحالة الدالة التي تقوم مقام أصناف الدلالات الأخرى من لفظ وخط وإشارة... وهي بكلمة: الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشير؛ بغير اليد. ينظر، الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 81.
- (8) هو دون اللفظ والخط، عرفه البغدادي، بقوله: «واعلم أن العقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليد...». البغدادي: خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، مج 3، دار صادر، بيروت، لا. تا، ص 147.

يفسّر الدفاع عن «الطبع» في التراث النقدي القديم، الذي كان دفاعاً عن «الشفاهية» بأكثر من معنى، وذلك بتقارب يمكن فهمه في علاقته بالموقف النقيض الذي وضع الدفاع عن «الصنعة» موضع الدفاع عن النزعة الكتابية⁽⁹⁾. فضلاً على تفسير احتفال الناس بالشاعر - وهو آلة كلامهم⁽¹⁰⁾ - وتمجيدهم له. ولا أدلّ على هذا التكريم من أن القبيلة من العرب كانت «إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتهم، وصنعت الأطعمة، واجتمع الناس يلعبن بالمزاهر... وكانوا لا يهتئون إلاً بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج»⁽¹¹⁾. وهذا السلوك في حقيقته تجويد لآلة الكلام، واستعمال ما فرزته التكنولوجيا في تلك الآونة لتحسين أداء إذاعة القوم، وأخذها بعناصر الحضارة، لتؤدي غرضها على أكمل وجه.

وبعد شيوع الكتابة، وانتشار التدوين، أولى العلماء الكتابة اهتمامهم، وسخّروا لها من الأدوات والآلات ما يسمو بصنعتها، ويرقى بأدائها. وقد ساروا في اتجاهين: الأول نظري تجلّى بوضعهم مؤلفات في صنعة الكتابة، على شاكلة أدب الكاتب لابن قتيبة، وصناعة الكتاب لأبي جعفر النحاس وسواهما. والثاني عملي برز في اهتمامهم بأدوات الكتابة وحثّهم الكاتب الأخذ بها، وتسخيرهم كل ما من شأنه الوصول بها إلى مرتبة سنّية. أو بكلمة استثمارهم كل ما تفرزه التكنولوجيا في زمنهم لخدمة الكتابة. من أدلة ذلك قولهم: «الكتابة من حلي الملائكة... فالواجب على ما آتاه الله الفضيلة، وبوّاه هذه الدرجة الرفيعة، وعلمه فصول الخطابة، وفقهه في ضروب الكتابة أن يطهرها من دنس القبائح... ويكون بعيد الهمة، نزيه النفس، حسن الهيئة، منتخباً - إن ساعدته الجدة - آلة الكتابة، فقد كان ابن الفيّاض كاتب سيف الدولة يعجن مداده بالمسك، ولا تلاق⁽¹²⁾ دواته إلا بماء الورد... ومما يجب على الكاتب أن يجيد قلمه، فهو ترجمانه ولسانه وسنانه»⁽¹³⁾. وبذلك تصدرت الكتابة المقام، أو على الأقل احتلت مقاماً منافساً للسان، وموازيّاً له، يصدقه قولهم: «القلم أحد اللسانين»⁽¹⁴⁾.

(9) جابر عصفور: «القلم واللسان»، مجلة العربي، الكويت، العدد 435، رمضان 1415هـ - فبراير (شباط) 1995م، ص 73.

(10) يعزز ذلك اعتبار العرب الشعر في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حُكمهم... ينظر، ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، السفر الأول، مطبعة المدني، القاهرة، لا. تا، ص 24. وهذه الأوصاف والسمات - باعتبار غايتها - تكاد تنطبق على شريط تسجيل، أو كمبيوتر الذي يحفظ ما استودع عند وضعك إياه في الآلة.

(11) ابن رشيّق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، ج 1، ط 5، دار الجيل، بيروت، 1401هـ - 1981م، ص 65.

(12) لاق الدواة ليّفاً والاقها لإقاة... لاق المداؤ بصوفها. ودواة مُلَوقة أي مليقة إذا اصلحت مدادها. ابن منظور: لسان العرب، ج 10، ط 1، دار صادر، بيروت، 1410هـ - 1990م، ص 334، مادة [ليق].

(13) أبو القاسم الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، حققه وقدم له رضوان الداية، ط 2، عالم الكتب بيروت، 1405هـ - 1985م، ص 49 - 48.

(14) ينظر، ابن هشام: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 10، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1385هـ - 1965م، ص 29.

وافترضت طرق التعبير نوعاً من آداب السلوك (الإتيكيت) يمليه الموقف الاجتماعي الذي كان يسير في خط موازٍ لمعطيات التكنولوجيا. فقد راعى العربي في بيئاته المختلفة أصول التعبير، فاختر نوع الدلالة المناسبة، يحدوه على ذلك مبدؤه البلاغي القائل: «لكل مقام مقال». واستناداً إلى هذا المبدأ وُضعت أسس لغوية مبنية على أصول اجتماعية تحث على تقديم النوع المناسب الذي يوافق الحال في الإبلاغ والاتصال. قال الجاحظ: «... والإشارة واللفظ شريكان، ويُعَمَّ العون هو له، ويُعَمَّ الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تُغني عن الخط... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس عن بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاص...»⁽¹⁵⁾.

هذه طرق التعبير وأصناف الدلالات على المعاني المختلفة الكامنة في النفس. وهي مجار لغوية يلجأ إليها الإنسان لينقل أفكاره، يملئها عليه موافقة المقام للمقال وقرينة الحال، مع الأخذ بالاعتبار الأجهزة والأدوات التي تفرزها الحضارة الإنسانية، وتقلب الأحوال. ولهذا اختفى في أيامنا «العقد» على حساب الأصناف الأخرى.

التكنولوجيا وطرق التعبير

يلاحظ في أساليب التعبير المتفاوتة أنها ترتبط أشد الارتباط بالمعالم الحضارية العربية والتكنولوجيا⁽¹⁶⁾ المتداولة، وهما فرضتا أصولاً اجتماعية في نوع الطريقة التي تنقل المعنى القائم في النفس. ولعلّ العودة إلى كنه الوسائل المختلفة، وسبب استعمالها يلقيان الأضواء الكاشفة على الحقيقة الكامنة فيها. جاء في علّة استعمال الإشارة: «فأما الإشارة فباليد والرأس... إذا تباعد الشخصان»⁽¹⁷⁾. ويؤكد استعمال اللفظ على قدرة

(15) الجاحظ، البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 78.

(16) العلم التطبيقي الذي يختص بالدقائق التقنية الخاصة بموضوع ما في الصناعات. يراجع:

Michael West: The New Method English Dictionary, Fourth edition, Longman, 1980, p. 302.

وقد أبرز أحد الدارسين اتجاهات دلالة «تكنولوجيا» قال: كثيراً ما نخلط بين «التكنولوجيا و «نتاج» التكنولوجيا، فننسى أو نتناسى أن «التكنولوجيا» فكر ومعرفة، وليست آلة أو جهازاً... والتكنولوجيا والعلم في الواقع وجهان لعملة واحدة. سمير رضوان: «تكنولوجيا العالم الثالث»، مجلة العربي، الكويت، عدد 356، ذو القعدة 1408هـ، يوليو (تموز) 1988، ص 53.

ولعل أقرب مفهوم للتكنولوجيا هو الذي قدّمه جالبريث Galbraith، جاء فيه: التكنولوجيا هو «الأسلوب المنهجي المنتظم Systematic الذي تتبعه عند استخدام تراث المعرفة العلمية وسواها من المعارف الأخرى الاجتماعية أو النفسية أو الاقتصادية أو التربوية بعد ترتيبها في نظام خاص بهدف الوصول إلى الحلول المناسبة لبعض المهام العلمية».

John Kenneth Galbraith: The New Industrial State, Foughton Mifflin Company, Boston Mass, 1987, p. 12.

وعليه فالتكنولوجيا نظام تتفاعل فيه المنتجات مع العمليات.

(17) الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 77.

إسماع المخاطب. قيل: ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت»⁽¹⁸⁾. وظهور الصوت يقتضي قرب المخاطب ليتمكن من السماع القائم بظهور الصوت. وتظهر قيمة الكتابة في البعيد، وبذا تفضل غيرها. قالوا: «اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو الغابر الحائن، مثله للقاء الراهن»⁽¹⁹⁾.

ويجمل الجاحظ مواضع استعمال كل طريقة من طرق التعبير، قال: «... فيجعل اللفظ لأقرب الحاجات والصوت لأنفس من ذلك قليلاً، والكتاب للنازح من الحاجات. فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب... وأبعدها أن تلوي بثوب على مقطع جبل تُجاه عين الناظر، ثم ينقطع عملها ويدرس أثرها، ويموت ذكرها، ويصير بعد كل فضل عن انتهاء مدى الصوت ومنتهى الطرف، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب. فأني نفع أعظم وأني موقف أعون من الخط... وليس للعقد حظّ الإشارة في بُعد الغاية»⁽²⁰⁾.

فرضت طبيعة الحياة طريقة التعبير، ولكن هل بقيت هذه الأساليب والطرق في مواضعها كما حددها العلماء؟؟... أم أصابها تطور غير مواضعها وبذل النظر إليها، وتقدير قيمتها؟؟

أدوات التعبير ومكننتها

أصاب الكلام تطور أثارته تكنولوجيا هذا القرن. انعكس ذلك في انفتاح مجال التعبير بالصوت؛ إذ اتسع ليصيب القريب السامع والبعيد غير القادر على سماع صوت المتكلم، وذلك عبر أجهزة الاتصال المختلفة. فالتلفون Telephone جعل الكلام قريباً على القاصي والداني. وكذلك حال جهاز الخلوي Cellular⁽²¹⁾ الذي يُمكن مخاطبة مَنْ تريد وأنت في أي مكان بعيد وفي أي حال؛ ماشياً، سائقاً سيارة، مضطجعا...

وتجاوز الكلام هذين الموضعين؛ لينقل إلى البعيد عبر أشرطة التسجيل التي تحتفظ بالصوت وتنقله من مكان إلى آخر، يسمعها مريدها متى وصلت إليه، وكأنه يخاطب صاحبها مخاطبة وجه لوجه. وبذلك تكون قد تساوت إلى حد ما بالكتابة. ويمكن أيضاً لأشرطة الفيديو Video أن تنقل الكلام (الصوت) والصورة (صورة المتكلم) في آن معاً؛ فيكون الاتصال على أشده من الإحكام والتأثير لاستناده إلى غير حاسة، وبذلك ينافس الكلام الكتابة بعد أخذ بتقنيات الصناعة الحديثة Technology.

(18) الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 79.

(19) الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 80.

(20) الجاحظ: الحيوان، مج 1، ص 38.

(21) تنتشر هذه التسمية بين الناس بشكل خاطئ، فهم يقولون «خلوي» والصحيح «خلوي». وهو جهاز مصنوع

من خلايا يشتمل على صفائح تستعمل لحفظ الكهرباء... Michael West: The New Method English Dictionary, p. 56.

أما الكتابة فقد أصابها وابل من المَكْنَنَة، إذ لم تعد وقفاً على الأقلام والأوراق، وذلك حين تعدتهما إلى الكتابة بواسطة أجهزة الحاسوب Computer، ونقلها بواسطة الاشرطة Disk؛ فتقرأ الرسالة عبر جهاز مَن تصل إليه بأقل وقت وجهد، بعيداً عن سوء الفهم الحاصل عن أخطاء الكتابة، أو الخط المشوّه وغير المقروء.

ويمكن أيضاً للكلام المحكي أن ينقل إلى المرسل إليه البعيد - حال الكتابة منذ القديم - عن طريق أجهزة التلغراف Telegraph حيث ترسل الرسالة بواسطة Telegram من خلال إشارات ورموز عبر الموجات أو الاشرطة الكهربائية من دون صوت.

والإشارة تراجعت شيئاً ما، وبقي مجالها في نقل الدلالات الاجتماعية المعروفة سابقاً. ودخلت إشارات ورموز من نوع آخر في الدلالة أنتجت التكنولوجيا الحديثة تغني عن الكلام، وتستخدم الرموز الكتابية بدل الرموز الطبيعية من حاجب أو شفة أو يد. من الرموز البسيطة التي نواجهها في حياتنا كثيراً الأسهم والخطوط التي توضع لتهدينا إلى الهدف المنشود، وإشارات السير المتعددة، ورموز التزام الصمت أو الامتناع عن التدخين، أو تحذير من وضع الألبسة الداخلية القطنية على أجهزة التدفئة المركزية Chauffage، إلى غيرها من الأنظمة المعقدة التي تستعمل في الصناعة والآلات الأخرى... وبذلك حلت الرموز الصناعية مكان الرموز الطبيعية، التي أصبحت نوعاً من التراث الفولكلوري Folklore. وقد أعار الدُرُس اللغوي ظاهرة الرموز شيئاً من اهتماماته وعنايته؛ فظهرت أبحاث تحمل اسم العلامة وهي «العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة»⁽²²⁾. واستمرت العلامة آخذة طريقها لتضع الأسس العامة لعلم الرموز وأبنيتها المختلفة وكيفية استخدامها في الرسائل بجميع أنواعها.

ودخل العُقد في عداد وفيّات طرق التعبير والبيان، ولم يعد يستعمل في أصناف الدلالات على المعاني.

ووجّهت التكنولوجيا طرق البيان وجهات مختلفة، زادت في مجال استعمال بعضها، وقلّت من الأخرى شيئاً. فقد تقلّصت دواعي الكلام الجهري في بعض المواقف: في جلسات المحاكمات حيث استبدلت المطالعات الخطيّة - بشكل عام - مكان المرافعات العلنيّة الشفوية. وقلّ ميدان الكلام عند استبدال العملات المختلفة Exchange عن طريق ضغط أزرار على آلة الصرف الإلكترونيّة Link - على سبيل المثال - الموجودة ليل نهار أمام المصارف فادّخرت كلاماً شفويّاً من الزبون، حين تدعوه الحاجة للقيام بعملية صرف واستبدال بعض العملات...

ومن جهة أخرى زاد التعبير باللفظ على حساب الكتابة حين نافس اللفظ أخاه

(22) صلاح فضل: في علاقة اللسانيات بالعلامة، نثلاً عن عبد السلام المسدي: اللسانيات من خلال النصوص، ط 1، الدار التونسية للنشر، جوان، 1984، ص 179.

الحرف المكتوب في الوصول إلى البعيد. عقد ماريو پاي Mario Pei مقارنة بين الكتابة والكلام، مبرزاً دور التكنولوجيا، قال: «وحتى عصر قريب جداً كانت اللغة المكتوبة تتمتع بميزتين لا توجدان في اللغة المتكلمة. إنها باقية بينما كانت المنطوقة زائلة، وكان من الممكن نقلها عبر مسافات بعيدة على عكس المنطوقة. أما الآن، فإن التسجيلات والأشرطة وغيرها من أشكال الأحاديث المحفوظة تحقق للغة المنطوقة ميزة الاستمرار والانتقال إلى آحاد بعيدة، حتى إن من العلماء من يتساءل الآن ما إذا كان الوقت لم يحن بعد لأن تختفي لغة الكتابة وتحل محلها لغة الحديث»⁽²³⁾.

وتأثرت المواقف القرائية بالتكنولوجيا حين قدمت مواداً جديدة، منها قراءة اللوحات الإلكترونية وقراءة المعلومات التي يقدمها الحاسوب وسواهما... مما زاد مواقف القراءة الصامتة⁽²⁴⁾، وقلل مجال القراءة الجهرية⁽²⁵⁾.

ودخل الحاسوب أو جهاز الكمبيوتر الصغير Micro computer في الدراسات اللغوية بأشكال مختلفة، كأن يستخدمه التلاميذ لاختبار قدراتهم على القراءة وصقل مهاراتهم الكتابية ومعالجة النصوص... كما يوجد هناك برنامج يمكن التلاميذ من كتابة موضوعاتهم ومراجعتها وإدخال تحسينات عليها⁽²⁶⁾.

الإرسال وتفاعل المتلقي

وتمخر التكنولوجيا عباب اللغة عن طريق مدها بأجهزة اتصال وتفاعل هائلين بين المرسل والمستقبل. ويتعامل الإنسان معها نظراً لأنها أصبحت جزءاً من أدواته التي تقتضيها حياته الاجتماعية، كأى أداة يستعملها في حياته اليومية. وما جهاز الخلوي Cellular الذي أخذ يصاحب الإنسان في حله وترحاله إلا دليل وبرهان.

إن تحول أساليب التعبير سُنّة فرضتها الحضارة الإنسانية، واقتضاها التطور الفكري. وما التحول من الكلام في عصور الإنسان الأولى إلى الكتابة إلا محصلة نهضة فكرية وتطور اجتماعي أصابت الإنسان. ذكر فندريس Vendryes وقائع التحول إلى الكتابة، جاء فيها: «أما الكتابة فقد تدرجت في طريق آخر، وابتدأت من الصورة التي تجعل العين تحسّ بفكرة الشيء ولا سيما الصورة المرسومة على الحجر أو الصلصال

(23) ماريو پاي (Marion Pei): أسس علم اللغة، ص 39.

(24) ذكر أحد المدرسين ثمانية مواقف تستخدم فيها القراءة الصامتة، منها: قراءة القصص والمجلات... قراءة الصحف، قراءة كتب الأدب... ينظر، عبد العليم إبراهيم: الموجّه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط 7، دار المعارف، مصر، 1973، ص 64.

(25) يجري حالياً تطوير التكنولوجيا التي سوف تمكن الناس من الاتصال بأجهزة الكمبيوتر عن طريق الكلام بدلاً من الضرب على لوحة المفاتيح أو بطريقة أخرى. يراجع، عبد اللطيف أبو السعود: «نحن وثورة الكمبيوتر»، مجلة العربي، الكويت، عدد 300، محرم 1404هـ - نوفمبر (تشرين الثاني) 1985، ص 164.

(26) للمزيد من التفاصيل، ينظر، عبد اللطيف أبو السعود: «نحن وثورة الكمبيوتر»، مجلة العربي، عدد 300، ص 161 - 162.

أو على لحاء الشجر أو الرق. اليوم الذي فيه اعتبرت العلامة تمثيلاً موضوعياً هو يوم ميلاد الكتابة»⁽²⁷⁾.

وإذا كانت التكنولوجيا قد دخلت وتدخل اللغة، فمن الحق أن نواجه هذا الحدث الحضاري - اللغوي بأهبة وثبات. ذلك أن التكنولوجيا دخلت غير ركن في حياتنا فاستجبنا لها وقبلناها بقبول حسن، وتعاطينا معها بشيء من الفخر والاعتزاز. إلا أن حال اللغة يختلف شيئاً عن غيره لِمَا تمتاز به من دقة وحساسية. وعليه نوجه اقتراحين:

الأول تربوي وفيه دعوة إلى إعداد المعلمين إعداداً تقنياً فنياً، إلى جانب الإعداد المعهود؛ لمواجهة الحدث التربوي الجديد⁽²⁸⁾. وذلك بتدريبهم على استخدام آلات الكمبيوتر والتسجيل وإعداد البرامج والنصوص اللغوية المناسبة. ويقتضي أيضاً دراسة ما يترتب على ذلك من أوقات فراغ لدى المعلمين، وكيفية استغلالها، والتحول إلى نوع آخر من الأنشطة الصفية⁽²⁹⁾، التي تفرز نوعاً من التعلم الفردي⁽³⁰⁾.

والثاني فكري - أدبي - اجتماعي، وفيه إشارة إلى إعادة النظر في قيمة كل طريقة من طرق البيان ونقل الأفكار - بمنظور اليوم - والتريث في الحكم على الأقوال التي أطلقت عليها. من ذلك ما أثر عن العرب من أقوال في الخط، ودوره في نقل المعلومات، على شاكلة ما قالوا في آلة الكتابة: [من الطويل]:

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدَوْهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ مَجْدًا وَرِفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ⁽³¹⁾

(27) فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص 390.

(28) قامت دولة البحرين بعمل لمواجهة ذلك، حين عقدت في نوفمبر 1988 ندوة حول «استخدام الحاسوب في التعليم»، وقد تمكن فريق عمل متخصص في التربية وعلم الحاسوب من إعداد أسس وقواعد لمنهج دراسي لمادة الحاسوب التعليمية، يراعي فيها النواحي التربوية والسلوكية والعلمية والزمانية والمكانية والمادية، وصياغتها في كتاب مدرسي متكامل بالإضافة إلى إعداد كتيب دراسي آخر أو دليل للمعلم الذي يقوم بتدريس المادة... بدون كاتب استطلاع ريم الكيلاني، تصوير سليمان حيدر. «الحاسوب في التعليم»، مجلة العربي، الكويت، عدد 373، جمادى الأولى 1410هـ - 1989م، ص 96.

(29) أصبحت وظيفة المدرس مُصنِّماً لبيئة التعليم، وانتقل من مجرد تحضير الدرس بالطريقة التقليدية النظرية إلى تصميم المواقف التعليمية واختيار الوسائل المختلفة كمصادر للمعلومات وهو الذي يخطط لتحقيق التفاعل بين المتعلم والوسيلة والموقف التعليمي، ومهمته هي تسهيل عملية التعلم. فهو الموجه لنشاط المتعلم عند الحاجة إليه وليس المتحكم في المتعلم والمسيطر على الموقف التعليمي.

ينظر، د. حسين حمدي الطوبجي: «التكنولوجيا داخل الفصل»، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 24، العدد 1 و2، يوليو/ سبتمبر - أكتوبر/ ديسمبر، 1995، ص 151.

(30) تحول المتعلم من موقف سلبي يتلقى فيه المعلومات إلى موقف إيجابي يشارك فيه للحصول على المعلومات؛ مما هيأ إلى نوع من التعلم الفردي. ويعتبر الحاسوب الآلي المرتبط بالفيديو إحدى وسائل التعلم الذاتي. يراجع: «الحاسوب في التعليم»، مجلة العربي، الكويت، عدد 373، ص 95.

(31) أبو الفتح البشتي: الديوان، تحقيق محمد مرسى الخولي، ط 1، دار الأندلس، بيروت، 1980م، ص 365.

ومثله قولهم في فضل الكتابة وأهميتها في تسجيل المعاهدات وحفظ السجلات: «لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصّحاك وكل إقطاع، وكل إنفاق وكل أمان وكل عهد وعقد، وكل جوار وحلف»⁽³²⁾.

وأرتقت قيمة أدوات الكتابة إلى درجة وازنوا بينها وبين اللسان، قالوا: «القلم أبقي أثراً، واللسان أكثر هُذراً»⁽³³⁾. وجاء عنهم أيضاً: «والكتاب يُقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، واللسان لا يَعدو سامعه ولا يتجاوزُه إلى غيره»⁽³⁴⁾. فهل بقيت الكتابة - كما في أقوالهم - تنفرد بحفظ ما تستودع دون غيرها؟؟ وتبقى على مرور الأيام والأعوام تنقل إلى الأقسام؟؟ يبرزه القول الشائع: [من الرمل]:

كُلُّ حِطٍّ لَيْسَ فِي الْقِرْطَاسِ ضَاعُ كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الْأَثْنَيْنِ شَاعُ⁽³⁵⁾

إلى جانب ما تقدّم نظروا إلى الخطّ الجميل نظرة إعجاب وتقدير، وسكبوا على صاحبه من الإطراء الشيء الكثير. من شواهد: [من السريع]

يَنْظُمُ دُرّاً فِي قَرَّاطِيْسِهِ أَفْوِي أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ نَاطِمِ
يَطْلُعُ أَنْوَاراً بِهَا غَضَّةُ يَوَابِلٍ مِنْ نَفْسِهِ وَاسِمِ
كَالدُّرِّ فِي اللَّفْظِ وَكَالْوَشْيِ فِي الرُّقْمِ أَجَادَتُهُ يَدُ الرَّاقِمِ⁽³⁶⁾

فهذه الأقوال يجب أن تؤخذ اليوم بشيء من الاحتران، وتحتاج إلى النظر بتؤدّة في مضمونها. وعلّة ذلك أن الكلام سيصل بفضل التكنولوجيا إلى الأقصى كما يصل إلى الأدنى، والكتابة - على ضوئها - تصبح ضرباً على لوحة المفاتيح بدلاً من حركات اليد بالقلم؛ فتختفي معها رداءة الخط - الواقعة في الكتابة اليدوية - بفضل آليتها. وينظر إلى الشعر وما قيل في قدرته على البقاء والتواتر: «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عُشره»⁽³⁷⁾، نظرة مغايرة في شعر اليوم وقيمه؛ وسبب ذلك أن الشعر كان «ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبت آدابها، ومستودع علومها»⁽³⁸⁾. أما اليوم فإن علبة

(32) الجاحظ: الحيوان، مج 1، ص 96.

(33) الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 79.

(34) الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 80.

(35) محيي الدين الكافيجي: المختصر في علم التاريخ، تحقيق محمد كمال عز الدين، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1410هـ - 1990م، ص 70.

(36) أبو بكر الصولي: أدب الكاتب، شرح وتعليق أحمد حسن بسج، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1994م، ص 39.

(37) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج 1، ط 5، دار الجليل، بيروت، 1401هـ - 1981م، ص 20.

(38) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، حقّقه وضبط نصه مفيد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ - 1981م، ص 156.

الذاكرة «Storage Devices» وما فيها من أجهزة «Flappy Disk» و «Hard Disk» في الكمبيوتر تختزن ما يختزنه الشعر وتفضله بصدق الرواية والبعد عن الانتحال والتصحيف والتحريف.

أثر تطور طرق التعبير في التحوّل الاجتماعي: رأي بعد رؤية

إن اللغة العربية بعامة، وطرق التعبير فيها بخاصة أمام تحديات التكنولوجيا، فهل تستطيع التعامل معها، والتغلب بقوالبها والسير في مجاريها، أم الإلزام دونها؟؟
الحق أن العربية قادرة على مواجهة الأحداث الحضارية⁽³⁹⁾ بهمة أهلها. فالعربي أمام تحديات علمية: «إن الواقع العربي يواجه تحديات خطيرة على الصعيد العلمي، وإن تطوير هذا الواقع لا يمكن تحقيقه إلا بانفتاحه على المعارف العلمية والتقنية، وانتهاج منهجها وسبلها وفلسفتها. إن ذلك يقتضي - يقيناً - إحداث تحولات جذرية في النظر إلى العلم والتقنية، وإحداث تغيرات بنيوية في الثقافة السائدة»⁽⁴⁰⁾. وما على العربي إلا شحذ الهمة والتهيئة الذهنية وصفاء النية، للمشاركة في بناء الحضارة، والإسهام فيها بقسط راجح، ومن ثمّ جني ثمارها عن طريق استخدام إنتاجها في متطلبات حياته اليومية ومقتضيات سلوكه اللغوي الاجتماعي. وهذا الفعل الحضاري يحدث تغييراً في المجتمع؛ لأن المعرفة العلمية لها جوانب اجتماعية نتيجة العلاقة التبادلية بين العلم والمجتمع: «إن علاقة العلم بالمعرفة من جهة، وبالمجتمع من جهة أخرى هي علاقة شائكة ومعقدة. وقد كان ذلك نتيجة لتبادليتها وجدليتها... والمعرفة تثري وتغيّر من تركيبة المجتمع، تحت ظروف تاريخية معينة، لكن المجتمع أيضاً يضع للمعرفة حدودها بل حتى محتواها في بعض الأحيان»⁽⁴¹⁾.

والتبدّل الاجتماعي - الذي يعدّ انعكاساً لتطوّر وسائل التعبير - يظهر عبر المفاصل التالية:

١ - سرعة الاتصال بين الناس يقضي بتآخي الإنسان مع غيره من بني البشر،

(39) إن اللغة العربية قادرة على الإستجابة لتحولات العصر الهائلة، عصر الإعلاميات والحاسوب (الكمبيوتر) والترجمة الآلية...؛ لأنّ بُنية العربية ملائمة لتصميم الحاسوب انطلاقاً منها. وقد أعار الدارسون البنية العربية اهتمامهم، فكان منهم دراسة جعفر دك الباب الذي حدّد أربعة أنماط بنيوية - وظيفية للكلم وثمانية أنماط بنيوية وظيفية للعمل في اللسان العربي. وتعتبر هذه الخطوة الأولى الضرورية لفهم النظام اللغوي للعربية وترميزه، من أجل تصميم حاسوب جديد انطلاقاً من بنية العربية التي تستجيب بذلك لتحولات العصر الهائلة... يراجع، جعفر دك الباب: «استجابة اللغة لتحولات العصر - دراسة لسانية»، مجلة المواقف الأدبي، دمشق، العدد 180، نيسان 1986م، السنة الخامسة عشرة، ص 37 - 22.

(40) سعود عياش: «العرب والتحدّي العلمي»، مجلة العربي، الكويت، عدد 376، شعبان 1410هـ - مارس (آذار) 1990م، ص 32.

(41) إدريس سالم الحسن: «الجوانب الاجتماعية للمعرفة العلمية»، مجلة العربي، الكويت، عدد 350، جمادى الأولى، 1408هـ - يناير (كانون الثاني) 1988م، ص 158.

تأخياً سريعاً نظراً لما يفرضه من سعة الاصدقاء مع فَقْد شيء من التركيز. فالزيارات الطويلة ذهب عهدا؛ لأن الإنسان لا يستطيع تلبية جميع الواجبات بما يملك من أوقات الفراغ.

ب - تقدم التكنولوجيا يجعل التواصل مرثياً مسموعاً. وهذا يتطلب التفكير مجدداً في الأقوال التي دارت رحاها حول العلاقات الاجتماعية. من شواهد ذلك المثل الشائع: «البعيد عن العين بعيد عن القلب»، فهل يبقى بعيداً مَنْ يتواصل مع البعيدين عنه بالصوت والصورة عن طريق شريط فيديو Video مصور، وهم يرونه ويسمعونه؟؟ وهل تبقى قيمة المراسلة العادية كما في قولهم: «المراسلة ثلثا المشاهدة» معادلة للمراسلة بواسطة شريط الفيديو المرئي المسموع؟؟ وإذا كانت قيمة المراسلة مرتفعة إلى هذا الحد، فذلك نابع من ندرتها نظراً لقلّة وسائل الاتصال. واليوم قد توفرت وسائل الاتصال وتعددت نوعاً وكماً، ألا يجوز النظر في قيمتها مجدداً بناء على معادلة «العرض والطلب»؟؟...

ج - اتساع الاتصال بين الناس مهما بَعُدَتْ أماكنهم⁽⁴²⁾، تجعلهم قادرين على المشاركة في الأحداث الاجتماعية، والمساعدة في نوازل الدهر التي تحلّ في مجتمع قريباً كان أم بعيداً. فظهور الإذاعة المسموعة والمرئية (التلفزيون) واتصالهما بالشبكات العالمية عبر الأقمار الاصطناعية جعل الكرة الأرضية بمثابة مجتمع واحد، لا تنفصم عراه، ولا تنفصل حدوده. وهذا ينعكس في انتقال العادات والتقاليد الاجتماعية من أقصى الأرض إلى أدناها بسرعة ويسر. ومعلوم ما في انتقال عادات شعب وتقاليدته إلى آخر من تحول اجتماعي، فضلاً على تهيئة الفرص للقاء الناس على مختلف أصقاعهم واتجاهاتهم ولغاتهم...

د - تغيّر العلاقة بين التلميذ والمعلم في الصف، من علاقة مباشرة تقوم على أساس أن المعلم محور العملية التعليمية Teacher-Centered، إلى أساس آخر يكون فيه المتعلم محور العملية التعليمية Learner-Centered؛ مما يعود على العلاقة بشيء من الفتور. ويؤثر هذا التغيّر في البنية الاجتماعية؛ لأن المعلم والمتعلم عضوان فعّالان من أعضاء المجتمع. وما عملية التعلم خاصة والتربية عاماً إلا «إعداد للحياة»، وجعل المتعلم عضواً فاعلاً في مجتمعه.

هـ - تأثر الناس في المجتمع بسرعة وسائل الاتصال، يتجلّى في عزوفهم عن قراءة

(42) وسائل توصيل الكلام والاتصال بواسطته في يومنا هذا تجعل من الممكن أن يتم نشر مجلة كاملة في نفس الوقت في القارات الخمس بعد ثمان وأربعين ساعة من كتابة مادتها في مكتب تحرير مركزي في نيويورك أو لندن أو باريس... لقد حدث تغير في ظروف الإنسانية، فأصبح الجنس الإنساني كله فجأة، وبدون ضجة محسوراً في مسافة صالحة للتكلم والاستماع. ويندر في التاريخ الإنساني أن تعلق رغبة الإنسان بشيء أبعد مثلاً من هذا. يراجع: م. م. لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسن، مراجعة إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1959م، ص 16 - 17.

المطولات، وتلذّذهم بالاطلاع على المختصرات، ونظرة في سلوك الناس بين القديم واليوم توضح المراد: «كان يلذ للناس إذا قرأوا أن يكون الكتاب مسهباً مطوّلاً حتى تدوم التسلية وقتاً طويلاً، وهذا ما برّر ظهور مؤلفات مثل الكوميديا الإلهية لدانتي في إيطاليا، والدون كيشوت لسرفانتس في إسبانيا... وألف ليلة وليلة، وقصص أبي زيد الهلالي وعنفرة في العالم العربي... أما اليوم فلا يمكن أن نتصوّر سيناريو للسينما مكتوباً بطريقة أبي زيد الهلالي، ولا نتصوّر محرراً في جريدة يومية يكتب خبراً على طريقة إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للإقليدي، فالسرعة العلمية التقنية التي تعمل بها الطائرات النفاثة والآلات الإلكترونية والمطابع الآلية واللاسلكي والمصانع ذات الإنتاج الغامر الأوتوماتيكي، كل ذلك لا يسمح، لا مادياً ولا نفسانياً، بأن يأخذ الأسلوب البطيء في القصص أو السامرة أو التآليف مكانة في هذا المجتمع»⁽⁴³⁾.

و - تحوّل في مجاري الاتصال بالآخرين، والإطلاع على ما في نفوسهم، وطرق نقل المعلومات منهم وإليهم... كل ذلك قدّم وسيلة اتصال على أخرى، كانت محصلة للتقدّم التكنولوجي. فالتكلّم تقدّم على الكتابة، والاستماع إلى المنطوق عبّر الإذاعة المسموعة والمرئية ووسائل الاتصال الأخرى حلّ محل قراءة ما يكتب... إضافة إلى استماع الناس برمتهم إلى الكلمة نفسها في الوقت نفسه حين تصدر عن سياسي أو غيره... كل ذلك أصبح ممكناً... ولهذا التفت الزعماء والمرشدون الدينيون والمنظّرون السياسيون... إلى الكلمة المنطوقة باعتبارها وسيلة اتصال بالناس... «كل أولئك معناه أكثر من التوسع في الاتصال، والإسراع به. فهذه التحولات في السلوك الإنساني يجب أن تؤثر في التفكير، والإحساس، والدوافع، كما تؤثر كذلك في التصرف العلني... إذ هي جزء من تغييرات شاملة في الحياة الاجتماعية للإنسان...»⁽⁴⁴⁾.

إن استخدام ثمرة التكنولوجيا في طرق التعبير اليوم لتشير إشارات صريحة ويقينية إلى تحولات اجتماعية تبرز من خلال علاقة الناس بعضهم ببعض... وما التطور والتغير في أساليب التعبير واستخدام المصطلحات التكنولوجية إلا أمانة على ذلك، لأن اللغة ترتبط بغيرها من ظواهر التطور والتقدم العلمي، شأنها في ذلك شأن النظم الاجتماعية. بل إن التطور اللغوي هو المؤشر الصحيح للتطور الاجتماعي؛ لأن اللغة مرآة المجتمع. ونظرة في بعض الأساليب بين الأمس واليوم تظهر المراد. قال التيفاشي في ماهية الكواكب: «قال أرسطوطاليس: ليست مادة الكواكب من مادة نارية ولا أرضية ولا من غيرها من الطبيعة، لكنها من مادة عالية جوهرية شفافة صلبة قوية غير خفيفة ولا ثقيلة ولا متغيرة ولا مستحيلة... ولا صاعدة»⁽⁴⁵⁾. وقال أحد الدارسين اليوم في

(43) ينظر، حسن ظاظا: اللسان والإنسان - مدخ إلى معرفة اللغة، ط 2، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، 1410هـ - 1990م، ص 104 - 103.

(44) م. م. لويس: اللغة في المجتمع، ص 18.

(45) أبو العباس التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حقّقه إحسان عباس، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1400هـ - 1980م، ص 168.

الإطار نفسه - عموماً - : «... وباكتشاف العناصر المشعة في أواخر القرن المنصرم، ومعرفة أنها تعطي بتحللها قدراً من الطاقة، يكفي لإمداد الأرض بحرارتها الحاضرة إلى أمد طويل تقوضت نظرية هلمهولتز، وما بناه كلفن عليها من تقديرات. وعندما عرف أن الرصاص هو الناتج الأخير لعناصر اليورانيوم والثوريوم المشع...»⁽⁴⁶⁾. والمتأمل المتدبر للنصين يرى فرقاً واضحاً في التعبير ما بين الأمس اليوم. فعلى حين يمتاز نصّ الأمس بالكلام العربي، يعلو نصّ اليوم فيض من المصطلحات التقنية والتكنولوجية وأعلام المشتغلين فيها... وهذا يؤكد التحول الاجتماعي الذي يستند إلى التحول اللغوي.

خرجة

لقد وضعت التكنولوجيا - اليوم - العربية في وضع مواجهة معها، نتج عنه أثر مزدوج، الأول مذهباً بثروة لغوية كبيرة عن طريق إغراق المجتمع بكَمِّ هائل من أسماء المخترعات والمستجدات عمل على إثارة حفيظة العلماء والمتخصصين للتصدي لهذا الحدث إما بالترجمة أو التعريب... والثاني أغناها بأجهزة تعود على المباحث اللغوية خيراً، عندما تستخدم في تشخيص ما استعصى على علمائنا الأوائل وهم يبحثون عن حجة يسوّغون فيها السلوك اللغوي المعين الصادر عن إنسان سوي أو غير سوي⁽⁴⁷⁾.

إن طرق التعبير اليوم، والآلات التي نستخدمها فيه، تدعو الإنسان للتكيف مع الأوضاع الجديدة بنفس رضية، متدبراً ما ينشأ عنها من تغير في العلاقات الاجتماعية. وما ذلك إلا لأن اللسان إنسان⁽⁴⁸⁾، وهو يحمل في طياته العُصْرَةَ والتكيف والتحول. وفي العُصْرَةَ انطلاق وتطور، لا جمود وانحلال وتدهور. وفي قدرة العربية على التماشي مع الأجهزة الحديثة، بيان على ثبات العربية، وبرهان على تطور المجتمع العربي، ومجاراته لركب التقدم، ثبات يحفظ الأصالة، وتغير يكفل الحيوية ومسيرة الحياة.

(46) يراجع، راشد المبارك: «المقولات العلمية بين التغير والثبات»، مجلة العربي، الكويت، العدد 377، رمضان 1410هـ - إبريل (نيسان) 1990م، ص 48 - 47.

(47) من أمثلة ذلك استفادة المتخصصين اللغويين من نتائج التشريعات الإكلينيكية... قال أحد الدارسين: «بدأ الحديث عن اضطرابات اللغة يأخذ مكانه منذ منتصف القرن التاسع عشر، ويعكس من ناحية تطور التصورات السيكولوجية للسلوك اللغوي، ومن ناحية أخرى تطور التصورات التشريحية والإكلينيكية للعلاقات بين الاعطاب اللغائية واضطرابات السلوك». ينظر، جمعة سيد يوسف: «سيكولوجية اللغة والمرض العقلي»، عالم المعرفة، الكويت، العدد 145، جمادى الآخرة 1410هـ - يناير (كانون الثاني) 1990م، ص 174.

(48) يعزز ذلك قول خالد بن صفوان: «ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة مُثَلَّة، أو بهيمة مُرْسَلَة أو ضالة مهملة». يراجع، ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسى الخولي، مج 1، ق 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا، ص 55.